



إعداد: خالد المغربي - فلسطين - القدس - المسجد الأقصى
www.al-msjd-alaqsa.com

تاريخ الطباعة: 29 شوال 1431 هجري
 وفق: 2010/10/08م

قيام الليل

كل يوم ينقسم ليلية ونهار، ويبدء اليوم من الليلة، فنقول مثلاً ليلية الجمعة، أي الليلة التي تسبق نهار الجمعة، واليلية تبدء بمجرد أن ينادي المؤذن لصلاة المغرب، والذي يسمى بالعشاء الأول، فصلاة المغرب هي أول صلاة في اليوم، والعشاء هي ثاني صلاة، وبهذا تكون الفجر هي الصلاة الوسطى، أما العصر فهي آخر صلاة في اليوم، لذلك فنحن نصلي أول يوم من أيام التراويح في الليلة التي يثبت فيها أن غدا هو أول أيام رمضان فهي ليلته، وللعلم فإن يوم عرفة له ليلتان، ليلته التي تسبقه واليلية التي تعقبه أي الليلة المفترضة لأول أيام عيد الأضحى، ذلك أنه من أدرك الوقوف في عرفة في الليلة فقد أدرك عرفة، وعليه فإن أول أيام عيد الأضحى ليس له ليلة، والليل هو من الأزمنة المخصصة التي خصها الله بثواب عظيم، فأنت وحدك مع الله، وليس هناك من يراك إلا هو، وهنا يظهر الإخلاص في العبادة، وهنا يُعلم أنك لا ترائي ولا تصلي كي يراك الناس، تعالوا بنا ننظر لحال الرسول عليه الصلاة والسلام والصالحين السابقين مع حال الليل:-

قيام النبي صلى الله عليه وسلم

أمر الله تعالى نبيه بقيام الليل، يقول عز وجل في سورة المزمل (يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) [المزمل: 1-4]. وقال سبحانه في سورة الإسراء (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) [الإسراء: 79]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه. فقلت له: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما



تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ [متفق عليه]. وهذا يدل على أن الشكر لا يكون باللسان فحسب، وإنما يكون بالقلب واللسان والجوارح، فقد قام النبي بحق العبودية لله على وجهها الأكمل وصورها الأتم، مع ما كان عليه من نشر العقيدة الإسلامية، وتعليم المسلمين، والجهاد في سبيل الله، والقيام بحقوق الأهل والذرية، فكان كما قال ابن رواحة:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروفٌ من الصبح ساطعُ
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقناتٌ أن ما قال واقع
بيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وعن حذيفة قال: {صليت مع النبي ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مُتَرَسِّلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ... الحديث} [رواه مسلم]. وعن ابن مسعود قال: {صليت مع النبي ليلة، فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء. قيل: ما هممت؟ قال: هممت أن أجلس وأدعّه!} [متفق عليه]. قال ابن حجر: (وفي الحديث دليل على اختيار النبي تطويل صلاة الليل، وقد كان ابن مسعود قوياً محافظاً على الاقتداء بالنبي، وما هم بالقعود إلا بعد طول كثير ما اعتاده).

قيام الليل في حياة السلف

- قال الحسن البصري: (لم أجد شيئاً من العبادة أشد من الصلاة في جوف الليل).
- وقال أبو عثمان النهدي: (تضيّفت أبا هريرة سبعاً، فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل ثلاثاً، يصلي هذا، ثم يوقظ هذا).



- وكان شداد بن أوس إذا أوى إلى فراشه كأنه حبة على مقلبي، ثم يقول: اللهم إن جهنم لا تدعني أنام، فيقوم إلى مصلاه.
- وكان طاوس يشب من على فراشه، ثم يتطهر ويستقبل القبلة حتى الصباح، ويقول: طير ذكر جهنم نوم العابدين !!
- وكان زمعة العابد يقوم فيصلي ليلاً طويلاً، فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته: يا أيها الراكب المعرّسون، أكل هذا الليل ترقدون؟ ألا تقومون فترحلون !! فيسمع من هاهنا باك، ومن هاهنا داع، ومن هاهنا متوضى، فإذا طلع الفجر نادى: عند الصباح يحمد القوم السرى !!

طبقات السلف في قيام الليل

- قال ابن الجوزي: واعلم أن السلف كانوا في قيام الليل على سبع طبقات:
- الطبقة الأولى: كانوا يميون كل الليل، وفيهم من كان يصلي الصبح بوضوء العشاء.
 - الطبقة الثانية: كانوا يقومون شطر الليل.
 - الطبقة الثالثة: كانوا يقومون ثلث الليل، قال النبي: { أحب الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود؛ كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه } [متفق عليه].
 - الطبقة الرابعة: كانوا يقومون سدس الليل أو خمسه.
 - الطبقة الخامسة: كانوا لا يراعون التقدير، وإنما كان أحدهم يقوم إلى أن يغلبه النوم فينام، فإذا انتبه قام.
 - الطبقة السادسة: قوم كانوا يصلون من الليل أربع ركعات أو ركعتين.



- الطبقة السابعة: قوم يُحيون ما بين العشاءين، ويُعَسِّلون في السحر، فيجمعون بين الطرفين. وفي صحيح مسلم أن النبي قال: { إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا آتاه، وذلك كل ليلة }.

الأسباب الميسرة لقيام الليل

ذكر أبو حامد الغزالي أسباباً ظاهرة وأخرى باطنة ميسرة لقيام الليل:
فأما الأسباب الظاهرة فأربعة أمور:

- الأول: ألا يكثر الأكل فيكثر الشرب، فيغلبه النوم، ويثقل عليه القيام.
- الثاني: ألا يتعب نفسه بالنهار بما لا فائدة فيه.
- الثالث: ألا يترك القيلولة بالنهار فإنها تعين على القيام.
- الرابع: ألا يرتكب الأوزار بالنهار فيحرم القيام بالليل.

وأما الأسباب الباطنة فأربعة أمور:

- الأول: سلامة القلب عن الحقد على المسلمين، وعن البدع وعن فضول الدنيا.
- الثاني: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل.
- الثالث: أن يعرف فضل قيام الليل.
- الرابع: وهو أشرف البواعث: الحب لله، وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه.

قيام رمضان

قيام رمضان هو صلاة التراويح التي يؤديها المسلمون في رمضان، وهو من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه في هذا الشهر. قال الحافظ ابن رجب: (واعلم أن المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل



على القيام، فمن جمع بين هذين الجهادين وُفي أجره بغير حساب). وقال الشيخ ابن عثيمين: (وصلاة الليل في رمضان لها فضيلة ومزية على غيرها، لقول النبي: {من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه} [متفق عليه]. وقيام رمضان شامل للصلاة في أول الليل وآخره، وعلى هذا فالتراويح من قيام رمضان، فينبغي الحرص عليها والاعتناء بها، واحتساب الأجر والثواب من الله عليها، وما هي إلا ليالٍ معدودة ينتهزها المؤمن العاقل قبل فواتها). وتشرع صلاة التراويح جماعة في المساجد، وكان النبي أول من سن الجماعة في صلاة التراويح في المسجد، ثم تركها خشية أن تُفرض على أمته، فلما لحق رسول الله بجوار ربه، واستقرت الشريعة؛ زالت الخشية، وبقيت مشروعية صلاحها جماعة قائمة. وعلى المسلمين الاهتمام بهذه الصلاة وأداؤها كاملة، والصبر على ذلك لله عز وجل. قال الشيخ ابن عثيمين: (ولا ينبغي للرجل أن يتخلف عن صلاة التراويح لئلا يثوابها وأجرها، ولا ينصرف حتى ينتهي الإمام منها ومن الوتر ليحصل له أجر قيام الليل كله). ويجوز للنساء حضور التراويح في المساجد إذا أمنت الفتنة منهن وبهن. ولكن يجب أن تأتي مستورة متحجبة، غير متبرجة ولا متطيبة، ولا رافعة صوتاً ولا مبدية زينة. والسنة للنساء أن يتأخرن عن الرجال ويبعدن عنهم، ويبدأن بالصف المؤخر فالمؤخر عكس الرجال، وينصرفن من المسجد فور تسليم الإمام ولا يتأخرن إلا لعذر، لحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: {كان النبي إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه، وهو يمكث في مقامه يسيراً قبل أن يقوم. قالت: نرى - والله أعلم - أن ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال} [رواه البخاري]. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.